القناة والعدوان الثلاثي على مصر

إعداد الباحثة

نهلة محمد محمد حسن

مقدمة

لقد كان لكل دولة من الدول التي أقدمت على العدوان أسبابها الخاصة للمشاركة من هذه الأسباب:

. توقيع مصر اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي تقضي بتزويد مصر بالأسلحة المتقدمة والمتطورة بهدف تقوية القوات المسلحة لزرع إسرائيل، مع العلم أن توقيع هذه الاتفاقية لم يأت إلا بعد رفض الدول الغربية تزويد مصر بالأسلحة الأمر الذي آثار حماسة إسرائيل للاشتراك في هذا العدوان لأنها رأت أن تزود مصر بالأسلحة المتطورة تهدد بقائها٠

دعم مصر للثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي وامدادها لها بالمساعدات العسكرية مما أغضب فرنسا وحرضها على المشاركة في العدوان٠

. تأميم قناة السويس الذي أعلنه الرئيس جمال عبدالناصر في يوم ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦م هذا التأميم منع انجلترا من التربح من القناة التي كانت تدبرها قبل التأميم، وبذلك دخلت انجلترا في العدوان الثلاثي٠

. وهكذا كانت قناة السويس بقرار التأميم الصادر عن عبدالناصر في ٢٦يوليو ١٩٥٦م بوابة لتحدي الاستعمار وأملاً لوحدة العرب، وبلسمًا لجراح ١٢٠ ألف فلاح مصري اختطفوا من قراهم وحفروا قناة بلادهم بالعمل بالسخرية وسط مهاجمة الطاعون والكوليرا والتيفود، تلك الهياكل العظمية الصابرة على الشقاء كانت تصور مأساتها موسيقى سيد درويش وكلمات يونس القاضي الحزينة [يا عزيز عيني ... وأنا بدي أروح بلدي ... بلدي يا بلدي... والسلطة خدت ولدي]٠

ولذلك أفراحنا بالقناة بعد التأميم رفعت أعناقنا للسماء٠

أهداف العدوان الثلاثي على مصر

لقد بين دول العدوان الثلاثي تواطؤ مشترك اتفق في مجمله على تحطيم الإدارة العربية الحرة واختلف في تفصيله على الوسيلة والغاية من تحقيق ذلك باختلاف الطرف المعني في هذا التحالف.

وتتضح الأهداف السياسية التي يمكن إجمالها في:

١. استعادة هيبة بريطانيا العظمى في الوطن العربي الكبير.

٢. القضاء على مركز الإشعاع الفكري لعقيدة القومية العربية في المنطقة.

٣. القضاء على القوات المسلحة المصرية الناهضة وتمكين عملائها وأذنابها من القبض مرة أخرى على زمام الأمور والتحكم في مصائر المنطقة داخل إطار المخطط الاستعماري الإمبريالي.

٤. القضاء على نظام الحكم المصري الذي عمل على تحرير الإرادة المصرية ليكون بذلك نموذجا لما يستعرض له أي نظام مماثل يحاول أن يحرر إرادة وطنه.

٥. الاستيلاء على قناة السويس

٦. تأمين حرية الملاحة الإسرائيلية في مضايق تيران.

لم يكن الأمر مشكلة تأميم شركة القناة فقط ولكن كان الهدف هو السيطرة على الشرق الأوسط لأنها تمثل خطراً على مناطق النفوذ.

وتتضح الأهداف العسكرية التي يمكن إجمالها في السعي إلى الانتقام لكرامة فرنسا التي أهدرت في الجزائر كما ترمي إلى تحطيم ثورة الجزائر نفسها بأتباع استراتيجية الاقتراب غير المباشر وذلك بضرب هذه الثورة في مصر.

وكان هناك مجموعة انتهازية التي تمثلها إسرائيل في هذا التواطؤ فتري في تأزم الأمور وضخامة الصراع القائم بين مصر ودولتي الغرب فرصة جديدة بأن تنتهز لتلقين العرب درساً قاسياً وذلك بتحقيق نصر حاسم وسريع ضد أقوي دولة عربية هي مصر والوسيلة لتحقيق هذا النصر الحاسم والسريع هو القضاء على التجمعات العسكرية في سيناء والاستيلاء على أي مغانم مادية أخرى.

وكان من الأسباب التي دفعت دولة التآمر الثلاثي فرنسا وبريطانيا وإسرائيل ومن حلفها الولايات المتحدة الأمريكية إلى القيام بهذا العدوان السافر على الشعب المصري هو محاربة (عبد الناصر) نفسه فاتفقت إسرائيل مع فرنسا وبريطانيا على خطة هجوم مدروسة تقوم على مهاجمة القوات الإسرائيلية للقوات المصرية الموجودة في سيناء.

لاشك أن أهداف إسرائيل من العدوان على مصر اختلفت في ١٩٥٦عنها في ١٩٦٧م ففى سنة ١٩٥٦م لم يكن ضم مساحة شاسعة من الأراضي المصرية واردا في السياسة الإسرائيلية إلا من قبيل المناورة بخلاف ١٩٦٧حين حققت إسرائيل نمواً سكانياً واقتصادياً جعلها تتطلع إلى الضم بالفعل وهذا يتمشي مع نظام المراحل الذي خططته الصهيونية لتحقيق أهدافها التوسعية.

ومن الجائز أن تكون إسرائيل قد تظاهرت بالرغبة في الضم حتى تقطع السبيل في المستقبل على مقترحات تقدم بها ساسة غربيون تنادي باسترجاع العرب لجزء من الأرض المحتلة كحل لمشكلة اللاجئين.

ولهذه الدول الاستعمارية أساليب شتى للوصول إلى هدفها وهو التحكم في اقتصاديات العالم واحتكار خيراته وحرمان الأمم التي تسيطر عليها من النهوض والتصنيع وفرص التقدم الفكري والمادي ومن هذه الأساليب احتكار موارد الثروة الرئيسية، إما بوضع اليد عليها مباشرة كما هو الحال مع منابع البترول أو حرمان أهل البلد من إمكان تصنيعها كما هو الحال مع القطن، أو تحريم الإشراف عليها واستغلالها كما هو الحال مع قناة السويس.

لذلك كان تأميم قناة السويس عملاً وطنيا رائعاً شفى غليل المصريين من كل ما ارتبط بالقناة من مآسي الديون والتدخل الأجنبي والاحتلال وقد قوبل قرار التأميم بالترحيب والحماس من جانب المصريين، وكان له صداه في الوطن العربي.

وفى ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦م هاجمت القوات الإسرائيلية الحدود المصرية في شبة جزيرة سيناء وأسرعت بريطانيا وفرنسا بالاشتراك في العمليات العسكرية العدوانية.

وعلى كل فإنه ما كاد يتم للجيش الإسرائيلي الوصول إلى مشارف الضفة الشرقية للقناة حتى أذاع "بنجوريون" خطابا أسماه خطاب النصر أعلن فيه أهدافاً من وراء حملة سيناء وهي:

- الادعاء بأن شبة جزيرة سيناء جزء من التراث التاريخي لإسرائيل فقد استتبع ذلك ظهور دراسات تؤكد على الحقوق التاريخية في شبة الجزيرة، ولم ينس "بن جوريون" أن يذكر في خطابة بأن الشريعة الموسوية نزلت في جبل طور سيناء، وأن دولة يهودية تعرف باسم "يوتوفات" ظلت قائمة في منطقة خليج العقبة حتى القرن السادس الميلادي . تحرر هذا الجزء من الوطن الذي احتله الغزاة.

ونشرت جريدة (جيرو زالم بوست) في نفس ذلك اليوم ٧نوفمبر مقالاً تعارض فيه الأسس التاريخية لسيادة مصر على سيناء.

- وكانت خطة بريطانيا العودة إلى منطقة قناة السويس وقاعدتها بأي ثمن، وقد ثبت ذلك من تعليمات حصلت عليها المخابرات المصرية في منطقة القناة مرسلة من رئاسة القوات في لندن إلى قيادة القوات في القناة، وذلك عام ١٩٥٦م وفيها تشير إلى ضرورة عمل مخابئ تحت الأرض في٦ معسكرات لتكون مخازن تخزن فيها الأسلحة والدبابات والمدفعية الباقية في منطقة القناة.
- وعندما قررت إسرائيل شن الحرب ضد مصر كانت لابن جوريون أهداف إستراتيجية من ضرب مصر تتلخص في:

١. ضرب قواعد الفدائيين في شبة جزيرة سيناء
٢. تفريغ شبهة جزيرة سيناء من أي احتمال هجوم مصري وجعلها منطقة منزوعة السلاح
٣. السيطرة على مضيق تيران المتحكم في الطريق البحري لإيلات عبر خليج العقبة
٤. تأمين مشارف إيلات بالسيطرة على طابا
٥. طرد مصر من قطاع غزة وعدم السماح بعودتها
٦. إسقاط نظام ناصر الثوري
٧. تأمين الكيان الصهيوني
٨. خلق حالة صراع مسلح على مشارف القناة تكون ذريعة لشن الهجوم الرئيسي لحلفاء إسرائيل (بريطانيا وفرنسا).
٩. استدراج معظم القوات المسلحة المصرية نحو سيناء وتوريطها في قتال استنزافي وقطع طرق إمدادها والمساعدة في تشتيتها لتقاتل ثلاث قوى في أن واحد (إسرائيل وفرنسا وبريطانيا) تمهيداً لتدميرها في أسرع وقت ممكن لحسم الصراع المسلح لصالح إسرائيل ومن ثم تأمين شبة جزيرة سيناء.

ولم تنقطع إشارات الكتاب الصهاينة منذ سنة ١٩٥٦ عن الدعوة إلى ضم سيناء مستندين إلي ذكريات تاريخية كما هو شأن هؤلاء الزعماء دائماً عندما يريدون أن يغطوا أمام العالم نواياهم التوسعية المحضة إلى حد أنهم اختاروا في سنة ١٩٥٦م كلمة (كادش) المدينة التاريخية في سيناء كاسم شفرة للعملية الحربية.

وبحث المؤرخون عن دولة عبرية قديمة قالوا أنها اتخذت عاصمتها في جزيرة تيران وصنافير وبعد هذا التبرير التاريخي ينتقل الكتاب الصهاينة إلى الحاجات الإستراتيجية فيذكرون أن سيناء امتداد طبيعي للنقيب مع أن إنشاء المستعمرات الإسرائيلية في هذه الصحراء قصد به أصلاً أهداف إستراتيجية.

ولدينا شهادة "كولونيل" البريطاني يقول بأن إسرائيل تعد لهجوم واسع النطاق للوصول إلى القناة، وأن هدفها النهائي هو إعلان القناة ممراً دولياً مع خلق منطقة عزلاء محايدة على جانبيها لعزل مصر تماماً عن إسرائيل وفى هذه الحالة ستعلن الأخيرة سيادتها على سيناء.

ورغم أن دول العدوان كسبت بعض المعارك العسكرية باحتلال إسرائيل لشبه جزيرة سيناء، واحتلال القوات البريطانية والفرنسية لمدينتي بورسعيد والإسماعيلية، إلا أن الإدارة المصرية ظلت صلبة ولم تنكسر.

العدوان الإنجليزي الفرنسي على مدن القناة

لقد ظل الرئيس عبد الناصر يستبعد قيام المملكة المتحدة أو فرنسا بشن عدوان على مصر، رغم توالي المعلومات من مختلف المصادر التي تؤكد بعضها قرب وقوعه، بينما يخلو البعض الآخر من احتمال وقوعه.

فالملحق العسكري بفرنسا ثروت عكاشة حصل على خطة تحركات القوات الفرنسية قبل وقوع العدوان بعشرة أيام وأرسلها إلى الرئيس جمال عبد الناصر بخطاب خاص مع الملحق الصحفي بالسفارة عبد الرحمن صادق، قام بتسليمها يد بيد للرئيس.

وكذلك الملحق العسكري بتركيا زكريا العادلي إمام ، الذي حصل على معلومات مؤكدة عن العدوان وتفصيلات الحشد الأنجلو فرنسي ولكنها لم تأخذ الاهتمام الجدير بها ولما استشعر زكريا العادلي أمام الخطر مع عدم الاقتناع بما أرسله من معلومات توجه بنفسه إلي القاهرة يوم١٩ أكتوبر ليبلغ عن أمرين:

١. أن إسرائيل أعدت ودربت شخصاً من عائلة الحوت لاغتيال الرئيس عبدالناصر.

٢. أن العدوان الأنجلو فرنسي مؤكد ووشيك الوقوع.

وقد أبلغ زكريا هذه المعلومات للواء عبد الحكيم عامر الذي لم يظهر الاهتمام الجدير بها فعاد كسير الخاطر إلي محل عمله باسطنبول يوم ٢٧أكتوبر.

وبدأت الضربة الجوية الأنجلو فرنسية من الساعة السابعة مساء يوم ٣١أكتوبر ضد المطارات المصرية مؤكدة لعبد الناصر ضرورة استسلامه لبداية هذا الغزو وقد أعلن عدم الاستسلام وضرورة المقاومة والقتال ضد المستعمرين وأدي ذلك لإشعال الشعور الوطني بين شعب مصر وتقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار للأمم المتحدة يتضمن انسحاب القوات الإسرائيلية إي ما وراء خط الحدود ومنع إرسال العتاد الحربي للمنطقة واتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة فتح قناة السويس وضمان حرية الملاحة واشتد القتال بين المستعمرين والقوات المسلحة المصرية وعناصر المقاومة الشعبية في القترة من ٢ إلي ٦ نوفمبر واشتدت الضغوط الدولية على كل من فرنسا وإنجلترا لسحب قواتها من مصر.

ووقع الاعتداء البريطاني الفرنسي وأعلنت وزارتا الدفاع في بريطانيا وفرنسا أن العمليات الحربية ضد المواقع المصرية في منطقه القناة بدأت بالفعل من الجو والبحر في مساء الأربعاء ٣١ أكتوبر تحت قيادة بريطانية – فرنسية مشتركة يتولاها الجنرال كيتلي القائد العام للقوات البريطانية شرق البحر المتوسط .

وأعلنت القيادة الأنجلو فرنسية المشتركة من مقرها في قبرص أن قاذفات القنابل بدأت منذ الساعة السادسة والنصف من مساء الأربعاء ٣١ أكتوبر بمهاجمة الأهداف العسكرية في مصر.

- ففي يوم ٣٠ أكتوبر تسلم سفيري مصر في كل من فرنسا وإنجلترا الإنذار البريطاني الفرنسي يطالب الجانبين المصري والإسرائيلي بإيقاف القتال براً وجواً وبحراً وان يسحب كل قواته بعيدا عن القناة بمسافة عشرة أميال علي الأقل وعلي أن توافق مصر على احتلال القوات البريطانية والفرنسية مؤقتا للنقط الرئيسية في كل مدن بورسعيد والإسماعيلية والسويس لضمان حرية الملاحة في القناة على أن تنفذ ذلك خلال ١٢ ساعة تنتهي في

الساعة ٦،٥ من صباح يوم ٣١ أكتوبر وإلا فان الدولتين تتدخلان بالقرب الذي تريانه ضروريا لضمان إجابة طلبهما.

وكانت إسرائيل تريد أن تعزل القوات المصرية في الصحراء، فتضطر مصر إلي التسليم ويتحقق حلم إسرائيل بضم سيناء إلي الأراضي التي اغتصبتها في فلسطين، كما يتحقق حلم انجلترا وفرنسا الأكبر .. وهو فرض سيطرتها علي قناة السويس وعلي العرب جميعا .

ولكن مصر قررت أن تفسد علي الدول الثلاث خطتها التي ترمي إلي عزل الجيش المصري في سينا.

واتخذت مصر من باب الاحتياط كافه الاستعدادات اللازمة لسد القناة في حالة حدوث عدوان لتفادي غزو مصر عن طريقها.

ثم سدت مداخل القناة دفاعا عن النفس وحين رفضت مصر الإنذار أخذت القوات الجوية الإنجليزية تضرب المطارات والمراكز العسكرية والمدن المصرية، وبخاصة منطقة القناة وبدأ ضرب بورسعيد من الجو والبحر ، وبدأ إنزال قوات جوية في بورسعيد قاومها الأهالي مقاومه شديدة ، ثم حاولت الدولتان إنزال قوات من البحر في منطقه بورسعيد أيضا قاومها المصريون باستبسال .

بدأت سفن الغزو الأنجلو فرنسي في التحرك صوب الموانئ العميقة في مالطة والجزائر والموانئ الأخرى علي البحر المتوسط تواطئه للهجوم علي مصر في رحلة تستغرق ستة أيام .

وباتخاذ قرار الغزو وإصدار الأمر إلي القيادة في قبرص، بعث أنتوني إيدن برسالة خاصة إلي الرئيس إيزنهاور يخطره بالأمر ويشرح له القصد من الغزو مركزا علي نقطتين أولاهما: أن التراجع يعني انتشار الفوضى واشتعال النيران في كل مكان من الشرق الأوسط، وثانيتهما، أن الغرض من الغزو هو عدم ترك فراغ عسكري في المنطقة التي تشكل بوزارة المصالح الدولية.

ولذلك فإن العملية ستكون محددة ومؤقتة، وقامت الحكومة الأمريكية بإصدار أوامرها إلي الأسطول السادس الأمريكي بإخلاء الحوض الشرقي للبحر المتوسط فورا، لتفسح بذلك المجال أمام الغزو بالأسطولين الفرنسي والبريطاني وتتيح لهما حرية العمل تجاه سواحل مصر في البحر المتوسط.

– وفي صباح يوم أول نوفمبر سنه ١٩٥٦م قام السلاح الجوي البريطاني بقصف مطاري ألماظة ومصر الجديدة واستمر في قصف الأهداف العسكرية والإغارة علي القاهرة ثم قامت طائرات كامبيرا وفاليانت البريطانية فأغرقت حمولتها من القنابل فوق جميع المطارات العسكرية المصرية وبعد قليل قام السلاح الجوي الملكي البريطاني بغاره سلمية علي مدينة القاهرة وألقت الطائرات ملايين المنشورات وهددت المنشورات المصريين بعبارات صريحة بضرب السكان المدنيين بالقنابل عقاباً لمنحهم ثقتهم لجمال عبد الناصر، وبعكس ما انتظره المعتدون، فقد كان رد الفعل المصري أن كانت الروح المعنوية مرتفعة واستمروا ينادون بأعلى أصواتهم (حانحارب . حنحارب).

وفي ٣ نوفمبر استولت إسرائيل علي سيناء وغزة، وبعد يومين أسقطت قوات المظلات البريطانية والفرنسية علي بورسعيد ، وأستخدم عبد الناصر مبني مجلس الثورة الذي يطل علي النيل في الجزيرة قاعدة له وقد كان مستهدفا من قبل القوات البريطانية، وأعلن الرئيس عبدالناصر في الجامع الأزهر أمام حشود الجماهير (سنحارب ولن نستسلم أبدا).

وفي يوم الاثنين ٥ نوفمبر نزلت قوات المظلات البريطانية الفرنسية في بورسعيد وبلغ الهجوم علي بورسعيد ذروة عنفه فدولتان تهاجمان بورسعيد ، دولتان كبيرتان (انجلترا– فرنسا)، بالأساطيل والطائرات والقوات البرية، وبدأت عمليه الغزو .

– حاولت القوات البريطانية والفرنسية النزول في ثلاث نقط من بورسعيد وبور فؤاد بواسطة رجال المظلات ونجحت في إسقاط ٦٠٠ جندي انجليزي و ٥٠٠ جندي فرنسي في مطار الجميل.

والواقع أن الإنذار الفرنسي الإنجليزي كان قد قلب الأوضاع رأسا علي عقب، فباتت مصر لا تحارب إسرائيل، بل تحارب انجلترا وفرنسا أيضا، واشتد الخوف من أن تقع القوات المصرية في مصيدة بشبه جزيرة سيناء بين نارين من جانب الجيش الإسرائيلي، ومن الجانب الأخر القوات الإنجليزية والفرنسية ولذا جاء أمر القيادة للجيش المصري بالانسحاب من سيناء تفاديا للفخ الذي سيقع فيه، وفي تلك الأثناء تدخلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في الأمر، وفرضت إرادتهما بوجوب انسحاب المعتدين من سيناء ومصر.

وفي يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٦م قدم الوزير البريطاني "أنتوني ناتيج" استقالته من حكومة " إيدن" وأعلن انه لا يستطيع الاستمرار كوزير للدفاع عن سياسة بلاده الخاطئة في مصر .

وفي يوم الأحد ٤ من نوفمبر ١٩٥٦ زادت الغارات الجوية علي القاهرة والإسكندرية ومدن القناة وخاصة مدينه بورسعيد.

وفي نفس اليوم تظاهر في لندن حوالي ٥٠ ألف شخص مطالبين بوقف الحرب واستقالة إيدن.

وعندما حدث تباطؤ من انجلترا وفرنسا وإسرائيل في إعلانهم الموافقة علي إيقاف العدوان والانسحاب أرسلت أمريكا مذكرات له صادره من "إيزنهاور" لقوات العدوان لوقف إطلاق النار في مصر في خلال ١٢ ساعة وكانت من المفروض أن تنتهي هذه المهلة في الخامسة مساء يوم ٦ نوفمبر لذلك قرر عبد الناصر الآتي :

١. استغلال الرأي العام العالمي في جميع القارات وفي معظم بلدان العالم .
٢. حرمان الأعداء من تحقيق أية نتيجة من أهداف تآمرهم وهو إعادة السيطرة على قناة السويس وذلك بتنفيذ خطة وهي سد القناة بالسفن الغارقة لتصبح غير صالحه للملاحة.
٣. تعطيل الملاحة عبر قناة السويس بإغراق كثير من السفن المحملة بالأسمنت لتحرم دولتي العدوان من البترول اللازم لصناعتهم ولحياتهم المعيشية.

٤. استخدام سلاح إيقاف توصيل البترول من منابعه فى الخليج والسعودية إلى الدول الغربية وبخاصة إنجلترا وفرنسا.
٥. الاعتماد على النفس فى توزيع السلاح على أوسع نطاق على الشعب المصري وبمجرد إعلان ذلك رفع الشعب المصري عن بكرة أبيه شعار المقاومة إلي مدى آخر (نداء حانحارب حتى أصبح أغنية شعبية).

وعقد ملوك العرب ورؤساؤهم اجتماعا فى بيروت ١٣، ١٤ نوفمبر ١٩٥٦م قرروا فيه (وجوب اتخاذ إجراءات فعاله لوقف العدوان على مصر وانسحاب القوات المعتدية من الأراضي المصرية فوراً وبلا قيد أو شرط.

وقد كان لكل هذه الإجراءات العربية آثر ضخم فى مستقبل المعركة، بل إن أثر المعركة قد تعدي الدائرة العربية إلى الشعوب الأفريقية فهبت تطلب تصفية الاستعمار من القارة وتلح فى ذلك وتستخدم أسلوب القوة وبهذا نالت كثير من الشعوب الأفريقية استقلالها منذ ١٩٥٦ إلى الوقت الحاضر.

بل لقد تعدي أثر المعركة هذه الدوائر الإقليمية إلى الدائرة العالمية الكبرى.

فما أجمع الضمير العالمي على استنكار الاعتداء الثلاثي ولذلك قدم "دالاس" مشروع قرار من ست نقط:

١. وقف إطلاق النار فوراً٠
٢. الكف عن العمليات الحربية٠
٣. انسحاب إسرائيل فوراً إلى ما وراء خطوط الهدنة٠
٤. امتناع الدول الأعضاء عن إرسال المواد والمهمات الحربية إلى دول هذه المنطقة٠
٥. حرية مرور السفن فى القناة بعد تنفيذ قرار وقف إطلاق النار٠

٦. إبقاء الجمعية العامة فى حالة انعقاد حتى تطمئن إلى تنفيذ هذه التوصيات بحذافيرها ووقفت دول العالم كله بجانب مصر ٠

إن هذه العدوان كان التحدي الأكبر الذي واجه الرئيس جمال عبدالناصر وأن تعامله مع هذا العدوان هو الذي فتح أمامه بوابة الزعامة العربية مما أعطي القومية اندفاعاتها الكبرى ومهد لقيام الجمهورية العربية المتحدة وإنعاش كل الحركات والقومية التي قامت فى العالم العربي.

المقاومة المصرية ضد العدوان الثلاثي

في يوم الجمعة ٢ نوفمبر ذهب جمال عبد الناصر في سيارة جيب مكشوفة إلي حي الحسين الشعبي وسط الجماهير وأدي صلاة الجمعة في الجامع الأزهر وأمام جموع الشعب المصلين أعلن في خطبة له بعد الصلاة من علي المنبر ونقلتها الإذاعة (أنه قد تم انسحاب جميع القوات المصرية من سيناء) للدفاع عن قناة السويس، وقبل أن تقع هذه القوات فريسة في فخ المعتدين وأن الجميع سوف يقاتلون ولن نستسلم وسوف نقاتل مع الشعب الذي أصبح السلاح في يده.

وقد أعلن السيد الرئيس جمال عبد الناصر من فوق منبر الجامع الأزهر عن إنشاء جيش التحرر الوطني وفتح باب التطوع أمام مواطني الجمهورية جميعا فذهب الشعب بأسره وتكاتفت قوي الشعب والقوات المسلحة للدفاع عن مصر الغالية وأهداف العروبة السياسية وتشكل جيش التحرير الوطني من قوات الحرس الوطني والفدائيين وكتائب المقاومة الشعبية وكتائب الشباب.

والشعب وقواته المسلحة . هم من حافظوا على كل حبة رمل من أرض دولتهم، وكونوا امبراطوريات وتعرضوا لعدائيات متكررة وانتصروا فيها ٠

وعندما خرج عبد الناصر من الجامع الأزهر كانت القاهرة كلها قد زحفت إلي طريق موكبه وأخذت تهتف في صيحة واحدة مدوية (حنحارب – حنحارب) وقد جمعت هذه الصيحة شعب مصر علي هدف واحد في مواجهة المعتدين وبعد أن تم توزيع نحو مليون قطعة سلاح علي أفراد الشعب المصري للزود عن البلاد وأنضم الكثيرون إلي صفوف المقاومة.

فتضامن الجيش المصري والبوليس والشعب وقاوموا الغزاة مقاومة مريرة مستميتة وألقي المعتدون في المعركة بقوات جديدة حتى صارت جيوشهم وأساطيلهم يزيد تعدادها علي تعداد سكان بورسعيد كله.

وقد تسبب العدوان في معاناة واستقلال المصريين من الأقلية المعتدية علي أغلبية تمثل الشعب المصري، واستفز ذلك الشعب المصري وحرك الثورة الكامنة في وجدانه منذ التهام دولتي انجلترا وفرنسا لهذه القناة وأسهمها بأبخس الأثمان منذ عصر الخديوي إسماعيل الذي بدد هذه الثورة وكان كل ذلك بمثابة تعسف من دول العدوان التي تعمدت قهره وإعادته إلي عهد الاحتلال الأجنبي فأخذت جموع الشعب تطالب بالسلاح للمقاومة ضد المعتدين وذلك عمل إيجابي لكل أفراد الشعب المصري.

وأعلن جمال عبد الناصر في هذا الخطاب أن مصر ترفض الإنذار البريطاني الفرنسي كما أعلن أنه قد كلف القائد العام للقوات المسلحة بسحب القوات المصرية من سيناء لتنضم إلي الشعب ... وأكد أنه قد أصدر أوامره بتوزيع السلاح علي الشعب وبدء الكفاح المسلح وكان لخطاب جمال عبد الناصر مفعول السحر ليس في مصر فقط ولكن في المنطقة العربية كلها.

وكان عبد الناصر أثناء إلقائه الخطبة المثيرة في أقدم مساجد مصر كان صوته مبحوحا وحاسما، يرتعش بالانفعال وقال عبدالناصر (سنقاتل ولن نستسلم أبدا).

وهب الشعب المصري هبَّة رجل واحد وجند نفسه للدفاع عن الوطن وألهبت كلمات عبد الناصر الشعب واستمر ضرب المدن بالقنابل وأصيبت المساجد والكنائس والمستشفيات ووقعت إصابات كثيرة من المدنيين .

واجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة، واستمعت لصيحة اجتماعية صاخبة تدمغ إنجلترا وفرنسا وإسرائيل بالعدوان الغاشم على مصر.

ومع استمرار ضرب المدن بالقنابل أحاط الشعب المصري قادته بظروف نفسيه ملائمة ساندتهم وعززت وسائلهم المادية بكل ما تملك مصر من إمكانيات الجهاد والتضحية بالنفس والمال، عموما فإن عناد المقاومة والاستمرار في الدفاع، هذا ما منحه الشعب لقواته المسلحة بالإضافة إلي عدالة القضية مما جعل إمكانية الصمود شيء متقبل.

الخاتمة

إن قناة السويس عند تأميمها واستعادتها للسيطرة المصرية أصابت دول الغرب بصدمة مدوية بتعطيل العمل في القناة٠

واستشاطت انجلترا وفرنسا غضبا من تلك الضربة القاسمة التي وجهها جمال عبدالناصر لهما، فاتفقتا سرًا مع إسرائيل لشن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ونتيجة لذلك العدوان الغادر توقفت الملاحة في القناة لغرق بعض السفن في المجرى الملاحي ولكن بعد فشل العدوان الثلاثي وانسحاب القوات المعتدية عملت على تطهير القناة وافتتاحها للملاحة الدولية كتأكيد لانتصار مصر على العدوان في تلك الحرب التي كانت قناة السويس محورها وغايتها وفي العاشر من أبريل سنة ١٩٥٧م أعيد افتتاحها للملاحة العالمية لتؤدي رسالتها الإنسانية في خدمة الشعوب والسلام العالمي٠

هذا البحث عبارة عن جزء مستخرج من رسالة الماجستير الخاصة بي وهي بعنوان: [قناة السويس خلال الحروب المصرية الإسرائيلية]٠

المصادر والمراجع

١) أحمد حمروش . ثورة ٢٣ يوليو، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢.
٢) أحمد عبد الرحيم مصطفي . مشكلة قناة السويس، القاهرة، ١٩٦٦ . ١٩٦٧م.
٣) أحمد عزت عبد الكريم ، وآخرون . أضواء على السويس ، ١٩٦٤.
٤) جورج حليم كيرلس . قناة السويس من القدم إلي اليوم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص١١٣ ٠
٥) حسن أحمد البدري ، فطين أحمد فريد . حرب التواطؤ الثلاثي،(المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٧) .
٦) رأفت الشيخ وآخرون . سيناء شأن مصري آسيوي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٠.
٧) رأفت غنيمي الشيخ وآخرون . سيناء شان مصري . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة ، ٢٠٠٧ .
٨) السيد رجب حراز . حروب القناة الثلاث " مقال من كتاب ١٠٠سنة بعد فتح قناة السويس، إصدار دار الهلال.
٩) صلاح العقاد . مأساة يونيو ١٩٦٧م حقائق وتحليل، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.
١٠) عبد الحميد أبو بكر. قناة السويس والأيام التي هزت الدنيا، وزارة الدفاع.
١١) عبدالمنعم كاطو: الأمن القومي كضرورة في المرحلة المقبلة . مجلة الدفاع عام جديد وأمل يتجدد . العدد ٣٤٢ . يناير ٢٠١٥م .
١٢) فايزة محمد محمود خطاب . قناة السويس ١٩٥٦– ١٩٦٧ وأثرها السياسي والاجتماعي محليا ودوليا ،٢٠١٣م / ١٤٣٤ .
١٣) فكرى أباظة . القناة لنا، جريدة المصور عدد خاص بمناسبة انتهاء العدوان الثلاثي على مصر، وقرار هيئة الأمم المتحدة بانسحاب العدوان وفشله في أوائل ديسمبر ١٩٥٦.
١٤) لجنة من المؤرخين، جمال عبد الناصر وعصره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

١٥) مجلة الأهرام . ٥٠ سنة ثورة إطلالة صحفية وتاريخية على ثورة يوليو في عيدها الذهبي يقدمها الأهرام بالحقائق والوثائق وشهادة ضياع التاريخ، الأربعاء ٢٣يوليو١٩٥٢م.
١٦) محمد الشافعي ، محمد يوسف . قناة السويس ملحمة شعب . تاريخ أمة . الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
١٧) محمد عبد الفتاح أبو الفضل . تأملات فى ثورات مصر ٢٣يوليو ١٩٥٢، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥.
١٨) محمد عبد القادر حاتم . المفاجأة الإستراتيجية في حرب أكتوبر ١٩٧٣، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩).
١٩) محمود عباس أحمد عبد الرحمن . تاريخ مصر الحديث والمعاصر، جـ٢(مكتبة بستان المعرفة).
٢٠) محمود يونس . قناة السويس ماضيها حاضرها مستقبلها، (دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦) .
٢١) وزارة الدفاع : حرب العدوان الثلاثي علي مصر خريف ١٩٥٦، هيئة البحوث العسكرية.
٢٢) وزارة الدفاع هيئة البحوث العسكرية . حرب العدوان الثلاثي على مصر حرب ١٩٥٦.